

من وراء البحار

الموسيقى في ألمانيا

وصارت همبرج الآن مركز النشاط الثقافي في المنطقة البريطانية ، وقد أقيمت فيها أول حفلة موسيقية عامة بعد خمسة أسابيع من الاحتلال أقامتها فرقة فيلهارمونيك همبرج في قاعة كبيرة لم يصيبها شيء من الدمار . وكثيراً ما أشيع في الخارج يومئذ أن الاحتلال شرد الكثير من الموسيقيين ، والواقع غير ذلك . ولم تفقد الجوقة الموسيقية من أعضائها أكثر من بضعة عشر موسيقياً . وهذا هو السبب في المستوى الرفيع الذي ظل محتفظاً به بين المازفين الألمان في هذه الحفلة ، وإن كان فائد الجوقة ضعيفاً . وما انتهى خريف ذلك العام حتى كانت تعمل في همبرج فرقتان موسيقتان ، وهما فيلهارمونيك والاركسترة السنفونية لشبكة محطات الراديو في الشمال الغربي لألمانيا ، وهي فرقة أنفها السلطات البريطانية .

على أن همبرج تأخرت عن المدن الأخرى في المنطقة البريطانية وفي غيرها من مناطق الاحتلال في تمثيل الروايات الموسيقية « الأوبرا » ، ومع ذلك استأنفت هذا النشاط في شهر يناير الماضي ، وهو مما لا يكاد يصدق إذا لاحظنا الأحوال التي كانت سائدة عندئذ ؛ فقد احترق قسم الجمهور من مسرح الأوبرا المحكومي ، ولكن القمم الباقى فيها وراء الستار الحديدى ، وهو الخاص بمسرح من أكبر المسارح الأوربية ، وفيه مدات من أحدث ما يستعمل ، ظل سليماً . ولما كانت مواد البناء قليلة فقد تمدر بناء قسم وقى للجمهور مع استعمال ماسلم من المسرح . وعلى ذلك أقيم في الجانب الآخر مكان يسع

إنه ١١ يسر المحبين للانسانية أن يسمعوا بأن الألمان أخذوا يستيقظون تدريجياً من آثار الهزيمة . ففي عدد ديسمبر من مجلة « القرن التاسع عشر » الإنجليزية وصف للحياة الموسيقية في ألمانيا بقلم جاك بورنوف . ومن هذا الوصف يتبين لنا المجهود الذى يبذل للعودة إلى الحياة العادية . ويصف الكاتب بنوع خاص ما يجرى في منطقة الاحتلال البريطانية . على أنه يحذرنا في بدء مقاله من اتخاذ مظهر الألمان وإقبالهم على مؤلفات موسيقية خاصة دليلاً على انجاء جديد . فقد اعتاد الألمان في مدى اثني عشر عاماً أن يلقنوا الآراء التي يبدونها . وهم لا يزالون إلى حد كبير معتادين ذلك ، وليس من السهل إقلاهم عن هذه العادة . فهم يؤثرون أن يتجهوا انجاءات صاحب السلطان في ميولهم . ولذلك نرى أن مؤلفات الموسيقيين البريطانيين صار لها مكان بارز في المنطقة البريطانية ، بسبب رغبة السلطات في ذلك ، وبسبب رغبة الألمان في إرضاء هذه السلطات .

لقد وقفت الحياة الموسيقية في ألمانيا وقوفاً تاماً أثر القسائم ، بسبب تدمير أكثر دور التمثيل الموسيقي والحفلات الموسيقية . وانصرف الناس إلى تدبير الضروريات لحياتهم . ولكن الموسيقى الآن استيقظت بأكثر مما يتناسب مع الحياة الاقتصادية . والسبب في هذه البليظة يرجع إلى عوامل ثلاثة : أولها المساعدة التي يلقاها هذا النشاط من القوات المحتلة في المناطق الأربع . ثم نشاط الألمان ودأبهم كمذاب النمل في عمله . ثم إخلاص الألمان للموسيقى وتعلقهم بها .

مهرة المازفين لم يكونوا من النازي إلا بالاسم . وأكبر قواد هذه الفرقة الشهيرة هو الآن شاب روماني اسمه سرجيو سليبيداك . ولكن الناس يلحون في عودة فورتهاجلر . ولقد قوبلت سياسة تشجيع الموسيقى من الموسيقيين الألمان بالترحاب ، لأنهم استطاعوا الآن ان يقنصوا ربح العالم الخارجي . وهم منصرفون إلى تعرف المؤلفات الموسيقية التي كانت محرمة عليهم في عهد النازي ، واكتشاف المؤلفات التي كانت مهيلة ، ولقد أبدى أحد مشاهير المازفين على البيانو حماسه كبيرة في المودة إلى أناشيد شومان المصاة « حبشهر » وكانت هذه الأناشيد محرمة ؛ لأن صاحب الشر هو ميني الشاعر الألماني اليهودي . وتعرف الآن في كل الأماكن قطعة مندلسون للكنجة وهي ايضا كانت محرمة بسبب أصل مؤلفها . ومما يلاحظ بهذه المناسبة نسبة الذين يجيدون العزف على الكنجة من اليهود كبيرة . ولذلك لم يبق في ألمانيا من مشاهير المازفين على هذه الآلة الموسيقية غير قلائل . ومما يلاحظ أيضا أن ألمانيا لم تحدث حدثا جديدا في التأليف للموسيقى أثناء السنوات العشر الأخيرة ، وأن المؤلفين المعاصرين متأخرون عن أقرانهم في البلاد الأخرى ، ما عدا للموسيقار ريكارد شتراوس ، الذي بلغ الآن الثانية والثمانين من العمر ، وهو يشرف على تقلبات الحياة الألمانية من على ذلك قامت الدوائر الموسيقية مؤلفات الموسيقيين الألمان الذين عاشوا خارج ألمانيا بأهمام . وتوجه هذا الاهتمام بصفة خاصة إلى هندمت ، فوفاته تسع في كل مكان . وقد دعي إلى برلين لينتول إدارة الأكاديمية الموسيقية . وأهتم الموسيقيون أيضا بمؤلفات سترافنسكي . ويسمون أيضا بمؤلفات المعاصرين من الروس . والظاهر أن السلطات المختصة في جميع المناطق تتبع طرقا واحدة في تشجيع النشاط الموسيقي ،

ستائة متفرج ، ومكان للجوقة الموسيقية يسع نحو ستين عازفا . ومن الغريب أن هذا البناء الخشي كان آية في نقل الصوت . ومما يدل على نهضة الحياة الثقافية في همبرج أن أقيمت في يونية الماضي سلسلة حفلات موسيقية ومهرجية ، وكان المستوى فيها عاليا بحيث تعتبر حدثا جديرا بالذكر في أي وقت من اوقات السلم . وعزفت قطع موسيقية مختلفة ، ومثلت روايات موسيقية عدة منها رواية برسل الموسيقار الإنجليزي القديم : « ديدو وإيناس » ، والرواية الراقصة للموسيقار الألماني هندمت : « الخيال النبيل » ولعل المانيان لم يفهموا في السنوات الأخيرة ما يمثل برامج هذه الحفلات في حسن اختيار . ولا يقتصر النشاط في المنطقة البريطانية على همبرج وحدها ، ففي كولون مدينة نهر الراين ، حيث تهدم أكثر الدور ، استعملت القاعة الكبرى في الجامعة للحفلات الموسيقية وتمثيل « الأوبرا » ، وأعيد تأليف فرقة « جورزنيخ » الموسيقية ، وإن كانت القاعة الشهيرة الذي استمدت الفرقة منها هذا الاسم قد دمرت . وفي برنفيك نشط المدير الموسيقي هانز شترومباخ فأخرج بعض المؤلفات الحديثة . والحال في المناطق الأخرى لا تقل عن المنطقة البريطانية ؛ ففي مونيخ عزفت عدة مؤلفات موسيقية كبيرة ، من بينها السنفونية الثانية من تأليف ماهلر ، وهي تحتاج لفرقة موسيقية وجوقة غنائية . وفي برلين استأنف كل من فرقة الأوبرا الحكومية ، وهي واقعة في المنطقة الروسية ، وفرقة أوبرا شرلوتبرج الواقعة في المنطقة البريطانية ، نشاطهما في مسارح أخرى . وخسرت فرقة فيلهرمونك برلين بعض أعضائها بسبب نظام التطهير من النازية ، ولكن مستواها لم يزل عن عادته . ومما هو جدير بالذكر أن السواد الأعظم من

أنه نال شهرته حتى قبل عهد النازي ، و تزال شهرته كبيرة حتى الآن ، ومع أنه أظهر شجاعة في أول عهد النازي حين رفض أن يفصل اليهود من أعضاء فرقته الموسيقية واستقال من منصب ثقافي كبير في سبيل الدفاع عن الموسيقى هندية . وإذا كان قد شغل فيها بعد مكانا بارزاً في حياة الموسيقى في عهد النازي ، فذلك بسبب كفايته الممتازة ، ولا يعرف عنه أنه اهتم بالسياسة . وهكذا نرى الألمان في محنتهم لم ينسوا الموسيقى وما لها من تأثير كبير في حياتهم اليومية .

والخلاف بين هذه السلطات أقل في هذا الناحية منه في نواح أخرى . على أن فكرة تطهير الحياة الموسيقية من النازي قد بولغ فيها في بعض الماطق . ولذلك نجد مثلاً أن المنطقة البريطانية طردت جماعة من أمهر المازفين وهم الآن يبدون نشاطاً موسيقياً كبيراً في المنطقة الفرنسية ، في حين أن الروس احتفظوا بجميع مشاهير الفنانين في دار الأوبرا مع أنهم كانوا مشهورين بميوهم النازية . والأمريكان أيضاً يعملون على إبعاد الموسيقيين الذين شغلوا مركزاً هاماً في زمن النازي . ولقد تضايق الألمان من إبعادهم الموسيقار فورتشاجلر مع

فن الحديث الصحفي

هذا التصرف ، فكان يمثل هذه الأسئلة البسيطة يفتح له القائد أو السياسي قلبه . ويقول لدفيج إن من الواجب على الصحفي أن يدرس أخلاق العظم الذي يريد أن يتحدث إليه بكل الوسائل الممكنة . والصورة الفوتوغرافية هي ضرورة أساسية ، وفيها تظهر خصائص الرجل على وجهه بالرغم من إرادته . ومن الواجب على الصحفي أن يجذب إليه اهتمام المسئول ، فلا يقنع بمجرد السؤال والجواب ، إذ من الخير في هذه الحالة أن نفصل الأسطوانة الحاكية . فليس الغرض أن يذكر المتكلم آراءه بل الغرض الحقيقي هو طريقة الحديث وحالته العقلية عند الإلقاء بالحديث . فقد لا يهمنا سؤال مركوفي مثلاً ما هي عواطفك عند اكتشافك للتلفراف اللاسلكي ، بقدر ما يهمنا سؤاله كيف حدث أن قضيت أنت وغريك من العلماء سنين عديدة إلى جانب هذا الاختراع . وذكر لدفيج أنه استطاع أن يغمي عدة أيام في حديث مع أديسون المخرج الشهير

كتب إميل لدفيج الكاتب الألماني الشهير مقالاً ممتعاً في مجلة « ريفي دي باري » - عدد ديسمبر سنة ١٩٤٦ - عن فن الأحاديث الصحفية وهو يرى أن هذا الفن من أمتع الوسائل الصحفية وظرفها ، وأنه ليس مجرد نقل حديث كما قيل حرفياً بل إنه يحتاج إلى فن وأسلوب أكثر مما يعتقده القارئ العادي .

وأول خطوة في هذا الفن هو إظهار البساطة ، وذلك ما يمتاز به الصحفيون الأمريكيون . فإن مشاهير الرجال يؤثرون بأجاديثهم للصحفي البسيط على الرجل المتعلم الذي يناقشهم القول .

وذكر الكاتب أمثلة من حياته عندما كان صحفياً مبتدئاً أثناء الحرب العالمية الأولى ، إذ عهد إليه في التحدث إلى عدد كبير من الأمراء والقواد ورجال السياسة ، وكان قليل العلم بأمور السياسة ، فكان يوجه إليهم في بساطة أسئلة يتجاسها عادة العالم بالأمور . كان يسأل أحدهم لماذا تصرف أمس مثل

القليل الكلام إلى التعلق بعبرة تسترعى النظر . فقد كانا سائرين في الطريق ، فرأى لدفيج سيارة صغيرة فأخذ يمتدحها ، ولكنه سأل سؤال المتجاهل : « أظن هذه السيارة أكبر بعض الشيء من النموذج الذى تخرجه مصانعك ؟ » فاستولى على فورد شعور الام التى ترى تجاهل أبنائها فتحركت عيناه حركة خاصة ، وقال : « إنها إحدى سياراتى . لقد أخرجت ١٤ مليوناً مثلها » وفى هذه العبارة القصيرة وصف حياة جد طويلة ودل على خيال واسع .

ومن الطرق التى يراها نافعة للصحفى المتحدث إذا أراد مقابلة عظيم أن يتعرف إلى خصومه ، والغرض من ذلك لا تصديق أقوالهم فيه بل معرفة مآلديه من المسائل الحساسة التى تثيره وتدفعه إلى الرغبة فى الحديث ويجب ألا يشتم العظيم رائحة الحصوص ، بل يجب الحذر غاية الحذر فى هذا الأمر ، فقد حدث أن قابل صحفى المانى موسولينى وسأله « ماذا يحدث يا صاحب السوء بعد وفاتك ؟ » فأنتهت المقابلة عند هذا الحد .

ولعل الصحفى الذى خبر التأليف للمسرح يكون فى يده سلاح قوى ، فالكتابة للمسرح تقتضى إدارة الحوار فى مهارة وبطريقة نفسانية ، وإن كان المتحدث لا يذكر الحوادث الماضية كما يفعل المؤلف المسرحى . فقد ذهب لدفيج ذات مرة إلى لندن خاصة لبعثات لورد جراى وزير الخارجية البريطانية عندما أعلنت حرب سنة ١٩١٤ على ألمانيا ، واحتتم به فى حفلة غداء ، ودار الحديث على جلسة مجلس العموم فى اليوم السابق . وقد جاء فيه ذكر خلاف برز بين الوزراء ، وأخذ لورد جراى يشرح الموقف ، فقال لدفيج وكأنه يتحدث لنفسه : « هذا شبيه بموقف يوليو سنة ١٩١٤ » وقال هذه العبارة فى صوت خفيض ولكنه مسموع ، وإذا باللورد بعد الغداء يلتحنى به

وأخذ منه أجل الاجابات ، وذلك لأنه لم يسقط الجانب الفنى . وقد وجد فيه رجلاً ذا شعور حساس ، تكفى مجرد الإشارة ليفتح كنوز عقله . فى ذات مرة كان يتحدث إليه فى وحدات لينتثر وشبهها بما كان من أمر فاوست . وعلى حين فجأة أمسك بيد امرأته التى كانت جالسة إلى جانبه وقال ضاحكاً : « وهذه هى مرجريت » .

ويجب ألا يتحدث الصحفى إلى المثرى الكبير فى أمر قيمة النفوذ ، بل يدفعه إلى الكلام فى هذا الأمر بوسيلة أخرى . وروى لدفيج أنه دفع روكفلر مرة إلى هذا الحديث بأن قص عليه مسامحة قصة صغيرة . وتحدث لدفيج مرة إلى مليون الثرى الصموت وصاحب البواخر المدبدة ولقبه فى أثناء الحديث بتاجر البندقية ، فكأنه فك بذلك عقدة لسانه وسمع منه أبداع القصص عن بواخره وثروته .

وكان يتتبع ذات مرة فى نيويورك مع عشرين من كبار الرجال ذوى النفوذ فى مريكا ، وكان هو الوحيد بينهم الذى لا يملك مالا ، وقد أراد أن يصل إلى قصص ارتقاءهم ، فروى كيف قام ذات مرة فى سويسرا برحلة لارتقاء الجبل الأبيض الشهير ، وكيف بلغ القمة بعد تعب كبير ، ولكن الجو كان بارداً والهواء لاثخا ، فنزل فى أسرع وقت . ووجه إليهم الحديث سائلاً هل هذا شأبهم فى علوهم الآن ؟ فنظروا إليه وكأنما كانوا ينظرون إلى معتوه ، ثم أخذ الواحد منهم بعد الآخر ، ومنهم شواب وكاهن ولورز ولامونت ، يروى كيف تسلق قمة المجد فى صعوبة وتعب ، ولكنه حين بلغها ، وجد الدفء والسماء الصافية . وكانوا بعد ذلك يفتحون له قلوبهم فى كل فرصة . فالواجب إذن على الصحفى المتحدث أن يظهر شيئاً من البساطة بل الففلة . وقد حدث لدفيج ذات مرة أن دفع هنرى فورد

لدفيج إن الفضل للامبراطور غليوم الأول الذي اختاره . فسأله الملك فجأة : « هل اختاره حقاً ؟ » ومن هذا السؤال عرف الصحفي مركز الملك من وزيره موسوليني . وفي سنة ١٩٣٢ أراد لدفيج أن يضع كتاباً عن موسوليني ، فظل مقباً في روما واستأذن الدكتاتور في أن يلازمه بعد الظهر مدة أسبوعين ويحدثه مرات ، وكان قد أعد سلسلة من الأسئلة والاجابات المحتملة عنها ، وكان يسجل كل عبارة وكل تغير في ملامحه أو إشارة من يده ، وكان موسوليني يجيبه إجابات واضحة . وقد شعر بالتعب من هذه الجلسات أكثر مما ظهر على الزعيم الايطالي . وكان الزعيم يقبل معارضته في بعض المسائل بسعة صدر على أن لدفيج كان لا يعارضه في حضرة ثالث . وما يرتاح له الدكتاتوريون أن يقارن بينهم وبين نابليون وقد تمكن لدفيج بمثل هذه المقارنة من أن يجتذب إليه الزعيم التركي كمال باشا ، فانطلق لسانه في الحديث وأخذ يشرح بعض نقائص نابليون وكيف يمكن اجتنب مصلحه .

وقابل لدفيج في سنة ١٩١٥ زعيماً تركيا آخر هو أبور باشا وأراد أن يجري محادثة معه ، فبينما هو يتحدث إذ بالصحفي يضع يده في جيبه فجأة ، فإذا بالزعيم يفعل مثله . وكان من الظاهر أن الزعيم قبض على مسدس في جيبه إذ خشي الاعتداء عليه . وقد حرب الصحفي مثل هذه التجربة مع ستالين وموسوليني ولكنهما كانا ثابتي الجنان مع أنها يحملان سلاحاً بلا ريب ، ولكنهما كانا من النباهة بحيث فهم أن الصحفي إنما أقدم على تجربتها . وسأله ستالين سؤالاً عجيباً ذات مرة بعد أن قضى معه ثلاث ساعات . فقد قال له : أحب أنا أيضاً أن أوجه إليك سؤالاً هاماً . إنك ستترجى نقوداً بفضل هذا الحديث . فهل أنت على استعداد لجهة شيء من المال الذي

ناحية وبشكل في اسباب ليسوغ موقفه في تلك الفترة الخطيرة ، وكيف أنه لم يكن يستطيع منع سير الحوادث إلى الحرب . ولو أن لدفيج ذكر هذا الخلاف رسماً للورد على صورة سؤال لتلقى رداً قصيراً فائراً ولما استرسل اللورد في الحديث .

وكثيراً ما تكون العبارة القصيرة التي تلقى إلقاءً أبلغ أثراً من الأسئلة الطويلة في اجتذاب الحديث . ولذلك ربما كان الصحفي الصموت القوي الملاحظة أنفع من الصحفي الترب اللسان الذي لا يلاحظ الظروف والواقع أن الأذن تخطئ أكثر من العين . ولقد لاحظ لدفيج ذات مرة كالتين رئيس الجمهورية السوفيتية في مأدبة خمة فيها ألوان من الطعام المشهي يكتفي بمحساء بسيط ، مما يدل على أن هذا المزاج أصلاً لا يزال يحافظ على التشف . كما رأى تروفسكي ذات مرة يفلق نافذة في عناية بالغة مما يدل على أنه رجل عمل قبل أن يكون رجل نظريات وفلسفة . ولاحظ أيضاً أن جميع الدكتاتوريين تسكون أيديهم عادة ناعمة ومعنى بها بالرغم من أنهم قضوا زمناً عمالاً ، وذلك يدل على انصرافهم للتفكير أكثر من العمل . وفي سنة ١٩١٦ كان حاضراً ولحمة عشاء ، فلاحظ نظرة ألقاها الجنرال فون سيكت الألماني على رئيسه فون ما كترن ، ومن هذه النظرة عرف أنها على غير وفاق ، وظهر عدوهما سافراً فيما بعد .

ومن الصعب إيجاد الاتصال الواجب إذا كان المتحدثون من ذوي المراكز العالية . فستالين مثلاً كانت تترجم له أقوال محدثيه وذلك مما يجعل الاتصال الشخصي يكاد يكون مستحيلاً . أما الملك فيكتور عمانوئيل ملك إيطاليا السابق فقد حادثه لدفيج باللغة الإيطالية ولكنه ظل متحفظاً ، ودرا الحديث على سبيل الحكمة الوزير الألماني شهير . فقال الملك : « إنه عمل كل شيء بمفرده » ، حينئذ قال

رجال الولايات المتحدة ، وهو أيضا من الذين يحبون الفكاهة ، وهو يستطيع التحدث إلى الفلاحين وعامة الناس والاختلاط بهم في بساطة .

والجنرال باتون يكلف بالتصنع ، ومع ذلك لا يتخرج من السخرية من نفسه ، فقد روى الدفيج ذات مرة أنه عند ما عبر نهر الراين في سنة ١٩٤٤ ارتدى على الأرض كما فعل سيبون القائد - وماني ، وقال إنه فعل ذلك تقليداً للأسطورة .

وحدث للدعقي لدفيج ذات مرة حادث غريب ، وهو أنه قابل هنري بورديو الكاتب الفرنسي المعروف ، وكان الحديث ظريفاً طبعاً ولكن عندما خاضا في السياسة أبدى الكاتب الفرنسي تحفظاً فأفهمه لدفيج أنه لا ينوي نشر هذا الحديث السياسي وأخذ لدفيج بكلمه في بساطة . وبعد بضعة أيام يجد هنري آراءه منشورة في إحدى المجلات الباريسية ، فاذ بالرجل الذي ظن خائفاً فوعده أن لا يفضي بشيء ، قد خدعه وأخذ منه حديثاً .

ترجمه للأطفال الألمان الموزين ؟ وقد دفع لدفيج بعد ذلك ، إذ ربح شيئاً من المال ، جزءاً منه لمجموعات الأصفال ، وأرسل الايصال للزعيم الروسي .

ويقول لدفيج إن قداسة البابا هو آخر زعيم يحتفظ بتقاليد لماضي ، إذ يجب لمقابلته الذهاب في سترة سوداء عند الظهر وركوع والانتظار حتى يسمح لمحدثه بالقيام إذا رغب في ذلك . وكان البابا السابق يترك محدثه راكماً ، وبذلك كان الحديث يكاد يكون مستحيلاً . أما البابا بنديتو الخامس عشر فهو سياسي قدير وسيد كبير . كان يتحدث بحماسة في الموضوع السياسي الذي يثار بقوة وحرارة . وكان رزوفت طبيعياً في حديثه ويحب الفكاهة والنكات ، ولكن يجب أن يظهر المتحدث لباقة ، فقد لمح أحد الحضور ذات مرة بين يديه إلى فضائح تمزى إليه في شيكاغو عند ما رأى تبسطه في الحديث فامتنع لونه امتقاعاً شديداً .

ويتميز هنري والاس الآن من خيرة